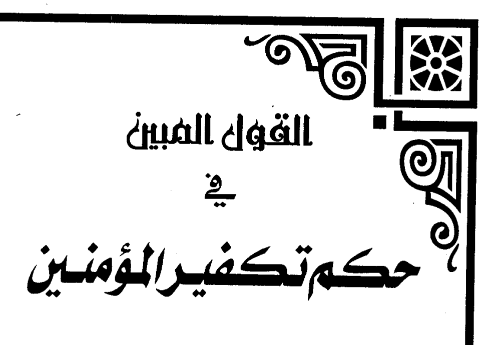


القول المبين
في
حكم تكفير المؤمنين

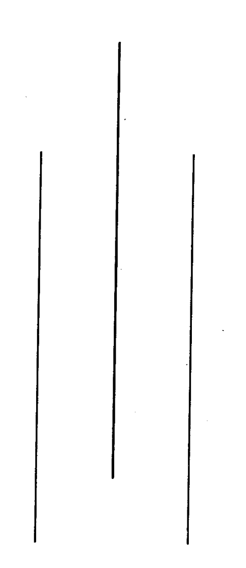
تأليف

أبو بكر الجزائري

دار البصيرة

الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم



القول المبين

في

حكم تكفير المؤمنين

بسم الله الرحمن الرحيم



رقم الإيـــداع : ١١٩٣٦/٢٠٠٣
الترقيم الدولى : I.S.B.N

دار البصيرة

جمهورية مصر العربية

الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠

مقدمة

بسم الله الملك القدوس السلام المؤمن العزيز الجبار المتكبر. والصلاة والسلام على النبي الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين.

وبعد ... فإن ظاهرة التكفير التي شاعت بين شباب أهل السنة والجماعة في هذه الأيام لظاهرة خطيرة، قد ينجم عنها أحداث جسام من شأنها أن توقف هذه النهضة الإسلامية في ديار الإسلام، وذلك ما يريده أعداء المسلمين، ويعملون على تحقيقه والوصول إليه، لذا تعين على أهل العلم أن يوضحوا الطريق لشبيبة الإسلام، وأن يقودوها إلى حيث الارتقاء الروحي، والكمال الأخلاقي حتى يمكنهم قيادة أمة الإسلام والوصول بها إلى ما تصبو إليه من عز وسعادة وكمال، في الدنيا والآخرة.

ونظرًا إلى أني معـدود من أهل العلم عند غيـر العالمين فإني اكـتب هذه الرسالة إسـهامًا مني في توضـيح الطريق للشبيبة المؤمنة حتى لا تضل في متاهات الحياة، ولتصل إلى غايتها السامية في تحكيم الشـريعة الإسلامية في ظل خلافة عادلة رحيمة ترد إلى الإسلام والمسلمين ما حرموه في أزمنة غير قصيرة من قيادة وسيادة، وطهر وصفاء، وأمن ورخاء، لذا أدعو كل إنسان مؤمن إلى قـراءة هذه الرسالة كما أدعو أهل الفضل أن يطبـعوا هذه الرسالة وينشـروها حتى تصل إلى يد كل شـاب مؤمن في ديار المسلمين. والله أسـأل لي ولهم الأجر والثواب وحسن المآب.

ما الإيمـان؟

الإيمان الذي هو بمثـابة الروح للإنســان من حـصله حـيى فأصبح أهلاً للتكليف أولاً، فإن نهض بالتكليف الذي هو أمر ونهي أصبح أهلاً للسعادة في الحياتين الأولى والآخرة ثانيًا.

هذا الإيمان: الذي دعا الله تعالى إليه وبشر به في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا (١٧٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ (سورة النساء: ١٧٤-١٧٥).

هذا الإيمان: الذي وعد أهله بأفضل موعود وأغلاه وهو مـغفـرة ذنوبهم، وإدخالهم جنات عـدن. إذ قال تعـالى: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ (سورة الحديد: ٢١).

هذا الإيمان: الذي يوجب الأخوة بين أهله إذ قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

هذا الإيمان: الذي يربط أهله برباط محكم يصبحون به كالبنيان يشد بعضهم بعضًا إذ قال رسول الله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا»، وشبك بين أصابعه.

هذا الإيمان: الذي يضاد الكفر مضادة الحياة للموت، والوجود للعدم.

هذا الإيمان: الذي يحقق لصاحبه مع تقوى الله تعالى ولاية الله سبحانه وتعالى إذ قال تعالى: ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة يونس: ٦٢).

هذا الإيمان: الذي يورث صاحبه مع ضميمة العمل الصالح جنة الفردوس نزلاً إذ قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (سورة الكهف: ١٠٧).

هذا الإيمان: أيها المؤمن الطالب للهدى ـ أركانه ستة وهي:

الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، فمتى سقط ركن منها بتكذيب العبد إياه، أو إنكاره له أو جحوده بطل هذا الإيمان وصار صاحبه كافراً من عداد الكافرين وبرئ منه المؤمنون، وثبتت هذه الأركان بالكتاب والسنة، ففي الكتاب قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ (سورة البقرة: ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ (سورة القمر: ٤٩). وفي السنة روى مسلم أن النبي ﷺ سأله جبريل عليه السلام عن الإيمان فأجابه قائلاً: «**الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره**»

هذا الإيمان: الذي هو بمثابة الطاقة النورانية إن قويت دفعت وأضاءت، وإن ضعفت عجزت عن الدفع والإضاءة، ومعنى هذا أن الإيمان يقوى في قلب العبد ويضعف وهو معنى يزيد وينقص: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا

ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (سورة الأنفال: ٢).

وقال تعالى: ﴿ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ (سورة الفتح: ٤).
وقال عز من قائل: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (سورة آل عمران: ١٧٣).

أبعد إخبار الله تعالى يُقبل قول من قال من أهل المذاهب[1] الخارجة عن مذهب أهل السنة والجماعة: «إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص»؟ إن قولهم هذا ناتج عن جهلهم، وإلا فالإيمان نور يقوى ويضعف وله مثال: هو أن المرء إذا طلع الفجر وأخذ الضوء ينتشر في الأفق يرى شبحًا بعيدًا يعلم أنه حيوان[2] لما يرى من حركته، ولكن لا يعرف

(١) من هذه الفرق المعتزلة والقدرية والجبرية وما تفرع عنها كالنظامية والجبائية والجاحظية والجعفرية، ومن قال بقولهم من الخوارج، ومن دار في فلكهم من خصوم الإسلام.
(٢) أي فيه حياة (كائن حي).

هل هو إنسان أو حيوان، وإن كـان إنسانًا لا يعرف هل هو رجل أو امرأة، وإن كان حيـوانًا لا يعرف هل هو فرس أو حمار مثلاً، وكلما ازداد الضوء ازدادت معرفته حتى إذا عم الضوء وبان كل شيء عرف يقينًـا ما هو عليه من إنسان أو حيـوان كما عـرف أنه رجل أو امرأة إن كـان إنسانًا أو أنه فرس أو حمـار إن كان حيوانًا. فهـذا المثل كاف في تقرير حقـيقـة زيادة الإيمان ونقصـانه وله مثل آخـر: وهو زيادة المعرفـة ونقصانهـا عند أصحابـها إذ لم يقل أحد بتـساوي العارفين في معارفهم.

هذا الإيمان: الذي هو اعـتقاد جـازم بالإيمان بالله وبما أمـر الله تعـالـى بالإيمان به من الملائكة والـكتب والرسل والبعث واليوم الآخر وما فـيه من حساب وجزاء، والقدر خيره وشره.

هذا الإيمان: متى وجـد في القلب نطق اللسان به مـعربًا عنه داعيًا إليه، وانقادت الجوارح للعـمل بموجبه طلبًا للفوز

بالجنة والنجاة من النار فلذا هو عند أهل السنة والجماعة: اعتقاد وقول وعمل معًا. ولا يكون اعتقادًا بدون قول ولا عمل، ولا قولاً بدون اعتقاد ولا عمل، ولا عملاً بدون قول ولا اعتقاد، ولذا يطلق على الإسلام كما يطلق الإسلام عليه، قال تعالى: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (سورة الذاريات: ٣٦).

أي من المؤمنين، إن الإسلام انقياد ظاهر وباطن لكل ما أمر الله تعالى به من إيمان وقول وعمل ولذا كل مؤمن صادق في إيمانه هو مسلم، وكل مسلم صادق في إسلامه هو مؤمن، فلا إيمان بلا إسلام ولا إسلام حقيقي بلا إيمان.

ولما ادعى الأعراب الإيمان ـ وما آمنوا ـ أكذبهم الله تعالى فرد دعواهم الإيمان: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٤). فقرر إسلامهم لأنهم انقادوا للدخول والعمل، ونفى إيمانهم لعلمه بأنهم ما آمنوا بقلوبهم.

وما يوجد من قول في حقيقة الإيمان هل هو اعتقاد فقط أو قول فقط أو اعتقاد وقول فقط؟ فهو من وضع الزنادقة الذين تسربوا إلى صفوف المسلمين وأثاروا هذه الزوابع الكلامية لفتنة المسلمين في دينهم بزعزعة إيمانهم في قلوبهم، لذا يجب أن لا يلتفت إلى مثل تلك الأقوال والآراء التي حملها من خرج عن أهل السنة والجماعة من فرق الضلال، فالإيمان على عهد رسول الله ﷺ وعهد أصحابه معه وبعده لم يقل فيه أحد أنه اعتقاد بدون قول أو عمل، ولا قول وعمل بدون اعتقاد، بل الإيمان تصديق بالله وبرسوله وتصديقهما فيما أخبرا به من وجود الله وربوبيته وألوهيته ونبوة رسول الله ورسالته وبكل ما أخبر به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر مع حب الله تعالى وحب رسوله وحب كل من يحبانه، وطاعتهما في الأمر والنهي، وآية الإيمان النطق بالشهادتين، فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فهو المؤمن، وهو المسلم ومن لم ينطق بهما فليس هو بالمؤمن ولا المسلم بل هو الكافر المشرك.

والإيمان أهله متفاوتون فيه قوة وضعفًا دل على ذلك قول الرسول ﷺ : «لو وضع إيمان أبي بكر في كفة وإيمان الأمة في كفة لرجح إيمان أبي بكر» ، وإجماع أهل السنة والجماعة على ذلك، ومن الأدلة الظاهرة على أن الإيمان يختلف في قلوب أهله قوة وضعفًا أن المؤمنين متفاوتون في الطاعات والقربات، والمسارعة في الخيرات، إن منهم من يُدعى إلى الصدقة فيتصدق بكل ما يملك كأبي بكر، ومنهم من يتصدق بنصف ما عنده كعمر ﵄، ومنهم من يجهز جيشًا كاملاً كما فعل عثمان ﵁.

ومنهم من لا يزيد على الفرائض نوافل وهو المقتصد، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ (سورة فاطر: ٣٢).

فالظالم لنفسه مؤمن يقوى إيمانه فيعمل عملاً صالحًا ويضعف فيعمل عملاً سيئًا، والمقتصد مؤمن متوسط الإيمان فهو ممتثل للأمر مجتنب للنهي ولم يَقْوَ إيمانه فيسابق غيره في الخيرات، والسابق في الخيرات مؤمن قَوِيَ إيمانه فحمله على فعل الواجبات وترك المنهيات، ودفعته قوته إلى المنافسة في الطاعة والمسارعة في الخيرات، كل ذلك الإيمان.

من هو المؤمن؟

إن المؤمن الحق هو الذي آمن بالله ورسوله محمد ﷺ وصدقهما في كل ما أخبرا به ووطن نفسه لطاعتهما في كل ما أمرا به ونهيا عنه، وأعرب عن ذلك بقوله: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وحققه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت الحرام.

هذا هو المؤمن الذي تجب موالاته وتحرم معاداته، وهو المسلم الحق الذي هو أخ مسلم يحرم دمه وعرضه وماله.

ولا يخرجه من الإيمان والإسلام إلا تكذيبه لما آمن به أو لبعضه أو إنكاره لأمر مما أمر الله به وأمر به رسوله، أو لنهي مما نهى الله عنه ورسوله أو استخفافه به أو سخريته ببعض ما آمن به أو بعض ما أمر بفعله أو تركه مما هو شرع الله تعالى ودينه الثابت بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة.

والمؤمن: ليس بمعصـوم من ارتكاب الخطايا والذنوب، قد يترك واجبًا وقد يفعل محـرمًا وهو غير مستحل لذلك ولا مسـتخف به، ولم يخرجه ذلـك من إيمانه ولم يسلبه صحـة إسلامه، ومتى تاب من ذنبـه تاب الله عليه، ولا يهلك إلا المُصِرُّ.

والمؤمن: يقوى إيمانه ويحسن إسـلامه ويتجلى ذلك في نهـوضـه بـكل الواجبـات وتخليـه عـن كل المحـرمـات والمكروهات ومسابقته في الصالحات والخيرات.

والمؤمن: يضعف إيمانه ويسـوء إسلامه لما يطرأ عليه من عوامل الـرغبة في الحـياة الدنيـا ومؤثرات النفـس والهوى وقرناء السـوء وعارض الغـفلة والنسيان، ويـظهر ذلك في إهمـاله بعض الفرائض، وتركـه الكثيـر من الواجبـات مع غشـيانه بعض المحرمات وليس ذلك بمخـرجه من الإيمان،

ولا بمبعده عن الإسلام ما دام يؤمن بالله ولقائه والرسول وما جاء به من الهدى والشرائع والأحكام، فإن تاب قبل موته تاب الله عليه ويرجى له دخول الجنة بعد النجاة من النار، وإن مات قبل أن يتوب فأمره إلى ربه إن شاء عفا عنه وغفر له، وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه ثم رحمه فأدخله الجنة دار السلام مع المتقين والأبرار.

كان ما تقدم بيان الإيمان والمؤمن.

ما الكفر؟

الكفر لغة: الستر والتغطية، ومنه كفر الزارع البذر في الأرض أي: غطاه بالتراب لينبت ولئلا يأكله الطير، وفي القرآن قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ (سورة الحديد: ٢٠).

يقال: كفر الشيء يكفره كَفْرًا بفتح الكاف وكُفْرًا بضمها إذا غطاه وستره، وكَفَر النعمة: جحدها، وكَفَرَ الحق: أنكره وكذب به.

والكفر شرعًا كفران:

الكفر الأكبر: وهو ما يناقض الإيمان ويبطل الإسلام وله صور هي التالية:

١ - **جحود الله تعالى:** أي: إنكار وجوده سبحانه وتعالى، ككفر الشيوعيين والعلمانيين.

٢. جحود أسماء الله تعالى وصفاته أو الإلحاد[1] فيها: بتأويلها[2] لإخراجها عن المراد بها.

٣. تكذيب الله تعالى: فيما شرعه من الشرائع، كالعبادات والأحكام والآداب والأخلاق.

٤. تكذيب الله تعالى: فيما أخبر به[3] من الغيوب، كالملائكة والجن وأمور الآخرة من البعث والحساب والجزاء بالجنة أو النار عن ما ذكره فيها من صنوف النعيم وألوان العذاب.

---

(١) **الإلحاد**: هو الميل والعدول عن الشيء فالملحد: العادل عن الحق المدخل فيه ما ليس منه، ولحد في الدين يلحد وألحد: مال وجار وعدل.

(٢) إذا كان التأويل كتأويل الأشاعرة موضحًا الصفات الإلهية هروبًا من التشبيه، فهذا التأويل لا يكفر صاحبه وإن كان باطلاً لا يجوز قوله، وإن كان التأويل كتأويل الجهمية وغيرها ممن يأولون لأجل الكفر بالله وإثبات العدم له بالمكر والحيل، فهذا التأويل كفر وصاحبه كافر لا محالة.

(٣) من هذا الكفر كفر من يكفر أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ممن رضي الله عنهم وبشرهم على لسان رسوله بالجنة، لأن تكفيرهم تكذيب لله تعالى فيما أخبر به وتكذيب لرسوله ﷺ.

٥ ـ جحود نبوة نبينا محمد ﷺ أو رسالته ﷺ: أو جحود نبوة أو رسالة من أخبر تعالى بنبوته أو رسالته من سائر الأنبياء والمرسلين.

٦ ـ التكذيب بالقرآن: أو بآية أو كلمة من كلماته أو حرف من حروفه، أو التكذيب بكتاب من كتب الله تعالى كتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود أو صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

٧ ـ إنكار البعث الآخر: وإنكار معاد الأجسام دون الأرواح كاعتقاد النصارى.

٨ ـ إنكار القدر: وهو أن كل حدث من أحداث الكون صغيراً كان أو كبيراً قد سبق به علم الله تعالى وقدره ليتم حسب علمه وتقديره فلا يزيد ولا ينقص إلا بتقدم زمان وقوعه، ولا يتأخر ولا تتبدل صفاته التي قدرها له، وذلك كأعمال الإنسان وأرزاقه وأجله وسعادته وشقائه[1].

(١) كحديث مسلم: «فيؤمر الملك بكتب اربع كلمات: عمله ورزقه واجله وشقي او سعيد».

٩ - إنكار أو جحود معلوم من الدين بالضرورة: كحرمة الزنا والربا والسرقة أو وجوب الصلاة والزكاة والصيام وبر الوالدين. أو إنكار الوضوء أو الغسل أو ستر العورة في الصلاة وفي غيرها وهي كشف السوأتين: القبل والدبر.

١٠ - الإشراك بالله في ربوبيته: باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر للكون والحياة مع الله تعالى، أو في أسمائه وصفاته كأن يُسمي إنسانًا الله أو الرحمن أو الرب، وكأن يقول أو يعتقد أن فلانًا يعلم الغيب أو أن الميت يسمع نداء الحي فيشفع له في قضاء حاجته[١]، أو يتوسل بالميت ليقضي حوائجه وذلك النذر له أو الذبح أو العكوف على قبره أو ندائه والاستغاثة به.

١١ - إنكار تكفير الكافر أو إشراك المشرك[٢]: لما في ذلك من تكذيب الله تعالى ورسوله ﷺ، إذ الرضا بالشيء معناه إقراره وقبوله.

---

(١) لا يكفر جهال المسلمين بمثل هذا الشرك إلا بعد أن يعلموا، فإذا علموا أن هذا الأمر شرك وأصروا على اتباعه لأهوائهم، أو حفاظًا على منافعهم المادية والمعنوية، فإنهم يكفرون بهذا الشرك ولاشك.

(٢) كمن ينكر: كفر اليهود والنصارى ويقول بإيمانهم.

١٢ ـ تعلم السحر وتعاطيه أو إباحته وإقراره: لإجماع أهل السنة والجماعة على كفر الساحر ووجوب قتله لحديث: «حد الساحر ضربه بالسيف»، وقولهم: (يقتل الساحر حيث بان سحره)، إذ حرمته معلومة من الدين بالضرورة.

١٣ ـ الاستهزاء أو الاستخفاف بالله وآياته ورسوله ﷺ: وما شرع الله تعالى ورسوله لعباده المؤمنين من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق.

هذا هو الكفر ولا يحكم لصاحبه بالنار والخلود فيها إلا بعد أن يموت على كفره ولم يتب منه قبل موته، فإن تاب قبل أن يحضره الموت قبلت توبته ويرجى له أن يدخل الجنة ولا يخلد في النار.

كان ذلك الكفر هو الكفر الأكبر المخرج من ملة الإسلام.

ودونه الكفر الأصغر: وهو من أكبر الذنوب الموجبة للعذاب في الدار الآخرة ولكنه لا يُخْرج من الملة ولا

يوجب الخلود في النار إذا لم يغفر له فدخلها، وهذه صوره:

١ ـ قتال المسلم لقول الرسول ﷺ في الصحيح: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». فأثبت هذا الحديث أن قتال المسلم فسوق، ومثله الحديث الصحيح: «فلا ترتدوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». فأثبت أيضًا أن اقتتال المسلمين من الكفر، ودل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (سورة البقرة: ١٧٨).

وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ (سورة الحجرات: ١٠).

بعد قوله: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (سورة الحجرات: ٩).

دلت الآيتان أن قتل المسلم كقتاله لا يخرج فاعله من الملة حيث أثبت أخوة الإسلام، فدل هذا على أن إطلاق

النبي ﷺ لفظ الكفر فيه أراد به الكفر الذي هو كفر الذنب الأكبر الذي لا يخرج المسلم من الإسلام.

٢ ـ الحلف بغير الله تعالى: إذ قال ﷺ في الحديث الصحيح: «من حلف بغير الله فقد أشرك أو كفر»، فإجماع أهل السنة والجماعة على أن هذا الشرك والكفر هما من الشرك والكفر الأصغر الذي لا يخرج صاحبه من الإسلام.

٣ ـ ترك الصلاة كسلاً وتهاوناً مع الإيمان بوجوبها: والرغبة الظاهرة والباطنة في أدائها وإقامتها لقول الرسول ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر»، فالكفر هنا كفر أصغر لا يخرج من الملة بدليل قوله ﷺ في حديث مالك وغيره: «خمس صلوات في اليوم والليلة كتبهن الله على العباد، من جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بهن كان له عهد أن يدخل الجنة ومن لم يأتِ بهن فليس له عهد عند الله إن شاء أدخله الجنة وإن شاء عذبه»، أما من تركها جحوداً وعدم اعتراف بشرعية الله تعالى لها وإيجابها فهذا كافر كفراً أكبر يخرجه من الملة بلا خلاف بين علماء الأمة.

٤ ـ القاضي يقضي بغير الحق أو الحاكم يحكم بغير ما أنزل الله تعالى: فإن كفرهما كفر أصغر لا يخرجهما من الملة ما داما يؤمنان بالله ولقائه والرسول ﷺ وما جاء به إذ قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (سورة المائدة:٤٤). قال: ليس بكفر ينقل عن الملة.

٥ ـ إتيان الكاهن وتصديقه فيما يخبر به من الغيب: لحديث: «من أتى كاهنًا أو عرافًا فصدقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» فهذا كفر أصغر بلا خلاف بين أهل السنة والجماعة، وليس بالكفر المخرج من الملة.

٦ ـ قول المؤمن لأخيه المؤمن يا كافر: للحديث الصحيح: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما»، يعني إن كان الوصف مطابقًا للموصوف فذاك وإلا فقد رجع الكفر على قائله فهذا كفر أصغر لا يخرج عن الملة وإنما هو ذنب عظيم إذ لا يجوز وصف المسلم بالكفر.

٧ـ إتيان المرأة في دبرها وجماع الحائض قبل طهرها: لحديث أحمد الصحيح: «من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»

هذه سبع صور للكفر الأصغر وغيرها كثير، وبهذا كان الكفر كالشرك والذنب إذ في كل منهما الأصغر والأكبر: فقد قال ﷺ في الرياء الشرك الأصغر في قوله: «إياكم والرياء فإنه الشرك الأصغر». وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ﴾ (سورة النجم:٣٢). فمفهومه أن هناك صغائر الإثم وهو كذلك والإجماع على هذا.

كان ذلك الكفر بقسميه الأكبر والأصغر..

فمن هو الكافر؟

والجواب: الكافر حقًا الذي تجب معاداته وتحرم موالاته، ولا يتزوج مسلمة ولا تقبل له شهادة ولا يرث ولا يورث وإذا مات لا يغسل ولا يكفن ولا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين هو من انطبقت عليه صورة أو أكثر من الصور الثلاث عشرة التي تقدمت، أولها: جحود الله تعالى وإنكار وجوده إلخ... وآخرها الاستهزاء أو الاستخفاف بالله وآياته ورسله ... إلخ.

بم يكفر المؤمن، وما حكم من يكفره؟

أما بم يكفر المؤمن؟

فالجواب: إن المؤمن ينسب إلى الكفر إذا اعتقد الكفر أو قاله عالمًا به أو فعله مريدًا له مختارًا غير مكره عليه لقوله

تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (سورة النحل: ١٠٦). ومعنى تكفير المؤمن نسبته إلى الكفر أو نسبة الكفر إليه، وذلك بأن يعتقد ما هو كفر أو يقوله، وقد مرت الثلاث عشرة صورة، وتقدم آنفًا تعريف الكافر وهو من انطبقت عليه صورة أو أكثر من الصور الثلاث عشرة، وتقدم آنفًا تعريف الكفر والكافر، وبناء على ذلك فالمؤمن يكفر - أي ينسب إلى الكفر - إذا اتصف بصفة أو أكثر من تلك الصفات الثلاث عشرة، فإن هو تاب ونزع عاد إلى الإسلام وعادت إليه مكانته بين إخوانه المسلمين، وإن أصر على الكفر بعد الإيمان تعينت معاداته وحرمت موالاته وعومل بما يعامل به سائر الكفار والمشركين من أهل الملل والنحل التي لا تدين لله بالإسلام كالمشركين والمجوس واليهود والنصارى.

وأما حكم من يكفره:

فالجواب: إن حكم من يكفر مؤمنًا أنه يكفر، إذ تكفير المؤمن كفر وذلك لقول الرسول ﷺ في حديث الصحيحين: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما**»، يعني إن كان الوصف بالكفر مطابقًا للموصوف به فذاك وإلا فقد رجع الوصف بالكفر إلى من قال، وقد مر آنفًا أن هذا الكفر لا يخرج من الملة وإنما هو كفر أصغر إلا أنه من أعظم الذنوب.

ألا فليتق الله تعالى أولئك الذين ظهروا اليوم يكفرون عامة المسلمين فتورطوا في الكفر وهم لا يشعرون!!

■ *واليكم النصيحة التالية:*

اعلموا:

أولاً - إني ناصح لكم غير غاش ولا خادع، ولا راغب فيما عندكم أو عند غيركم من أبناء الدنيا، وإنما راغب في الله أن يهديكم على هذه النصيحة فأُثاب على ذلك، وراهب من الله إن لم أنصح لكم، مبينًا لكم طريق الهدى ورجاء أن تسلكوه فتكملوا وتسعدوا بعد أن تنجوا من النار والخسران.

ثانيًا - أدعوكم أن تتجردوا من ثلاثة: الأنانية، والهوى، والتقليد، ثم تقرؤوا هذه الرسالة بعناية وتأمل وتدبر، فإنكم بإذن الله تعالى تخرجون بنتيجة طيبة وهي تخليكم عن تكفير غيركم وبذلك تنجون من الكفر الذي خفتم منه فوقعتم فيه من غير ألا تعلموا.

ثالثًا - إن طلب هداية من ضل من المسلمين لن تكون بطريق تكفيرهم والتشهير بهم، والسخرية منهم، لا، لا!

وإنما تكون بطريق رحمتهم وتبشيرهم وتأليف قلوبهم والرفق بهم وبيان الطريق لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن إذ هذا هو منهج الدعوة إلى الإسلام وضعه الخالق عزَّ وجلَّ وأمر رسوله محمداً ﷺ أن ينهجه في إبلاغ دعوته ونشرها في العالمين فقال له: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (سورة النحل: ١٢٥).

رابعًا ـ أن تعلموا أن القاعدة التي انطلقتم منها تكفرون غيركم من سائر المسلمين وهي: الحاكم حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر، والعلماء سكتوا عنهم فهم كافرون، والشعب لم يثر على الحاكم رضا بالواقع فهو كافر، فكفرتم أمة الإسلام ولم ينج من الكفر إلا أنتم.

هذه القاعدة التي انطلقتم منها تكفرون غيركم قاعدة فاسدة وباطلة، وكل ما يبنى عليها هو فاسد وباطل.

■ **واليكم البيان:**

الحاكم إذا حكم بغير مـا أنزل الله لا يكفر بمجرد الحكم بغير مـا أنزل الله حتى يكون قد جحد أحكام الله مـصرحًا بذلك معلنًا له أو يكون قـد استهـزأ بها وسخر منهـا، أما مجرد عدم تطبيقها والحكـم بها بدون جحود ولا استخفاف ولا استهـزاء فلا يكفر بذلك كفرًا يـخرجه عن الملة، وإنما كفره كفر معصـية وهو الكفر الأصغر ككفر من وطئ امرأة في دبرها أو امرأة في حيـضها وككفر قـتال المسلم أو قتله وككفر من قـال: مطرنا بنجم كذا كما في الحـديث وككفر من قال لمسلم: أنت كـافر، وقد تقدمت أدلة الكفـر الأكبر فلم يوجـد فيهـا أن الحاكم إذا حكـم بغير مـا أنزل الله أو القاضي إذا قـضى في قضيـة بغير شـرع الله أنه يخرج من الإسـلام ويعـتـبـر عـدوًا للمـسلمـين وأن مـا ذكـر في الآية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة: ٤٤).

إنما هو فيمن جحد أحكام الله كاليهود ولم يقر بها، أو هو كفر أصغر كما قال عبد الله بن عباس ﷺ، وما كان مجملاً في القرآن فإن السنة تبينه وما كان عامًا فإن السنة تخصصه ولنسمع إلى الرسول ﷺ يقول: **«من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا»**

ولنسمع علماء أهل السنة والجماعة وهم الممثلون لأمة الإسلام بحق وهم يقولون: «لا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يَسْتحلَّه»، فالحاكم أو القاضي إذا حكم أو قضى بغير ما شرع الله وهو غير مستحل له بل هو متأسف نادم لا يحل لأحد أن يكفره لأنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم رمضان ويحج بيت الله الحرام، وهذا هو الإسلام فكيف يخرج منه وهو راسخ فيه؟.

ولنسمع إلى رسول الله ﷺ وهو ينفي الإيمان عمن ارتكب ذنبًا معينًا فيقول: «والله ما آمن والله ما آمن من لم يأمن جاره بوائقه». ويقول: «لا إيمان لمن لا أمانة له». ويقول: «لا تؤمنوا حتى تحابوا»، فها هو ذا رسول الله ﷺ ينفي الإيمان عن من لا أمانة له، والإيمان عن المؤمنين حتى يتحابوا، فهل هذا النفي معناه تكفيرهم وإخراجهم من جماعة المؤمنين؟

والجواب: لا والله وإنما هو نفي كمال الإيمان بالكلية إذ ذاك معناه التكفير وحاشا رسول الله ﷺ أن يكفر أهل لا إله إلا الله، إنما هو من باب الكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، ونفاق دون نفاق، فالإيمان كذلك إيمان كامل وإيمان ناقص، إيمان قوي وإيمان ضعيف، وتقدم في هذه الرسالة ذكر ذلك وبيانه فارجعوا إليه.

خامسًا ـ أسألكم عما حَمَلَكُم على تكفير المسلمين؟

أَحَلَكُم: الخوف من الله تعالى إذا لم تكفروا المؤمنين وقد ارتكبوا كبائر الذنوب؟

فهل أمركم الله تعالى في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ بتكفير المسلمين إذا ارتكبوا الخطايا وغشوا المحارم وتركوا الواجبات؟

فإن قلتم: نعم، قلنا: اذكروا آية أو حديثًا فإنكم لن تجدوا ذلك أبدًا.

أَحَلَكُم: الرغبة في هداية المسلمين وإصلاحهم فرأيتم أنكم إذا كفرتموهم آمنوا وأسلموا؟ ومتى كان تكفير المسلم طريق هداية وصلاح؟

أَحَلَكُم: تقليد أعمى لرجل حانق على الإسلام والمسلمين زين لكم ذلك وحسنه إليكم فقبلتموه بدون

معرفة دليل من كتاب الله ولا سنة ولا إجماع الأمة؟ أم حملكم شيء آخر لم نعرفه ولم نطلع عليه فما هو يا ترى؟

سادسًا ـ أسألكم عما تريدونه وترجونه من تكفير المسلمين.

أهو استباحة دمائهم وأموالهم أم هو إثارة الفتن بينهم ليزدادوا بعدًا عن الهدى فيهلكوا أم هو أمر غامض في نفوسكم لم تبينوه حملكم على تكفير إخوانكم دون أن تعرفوا لذلك سببًا واضحًا؟

وعلى كل حال فإنكم وقعتم في فتنة عريضة. الله أسأل أن يخرجكم منها وأن لا يوقع فيها غيركم من سائر المؤمنين والمسلمين.

■ وأخيرًا:

أنصح لكم إن كنتم جماعة أن تبعثوا وافدًا عنكم، وإن كنتم فرادى تفدون فرادى إلى ساحة العالم الرباني وحبر هذه الأيام، ومثال الكمال العلمي والعملي بين الأنام: الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وما دعاكم إليه فأجيبوه وما أمركم به فأطيعوه فإنه لا يدعوكم إلا لما فيه خيركم ونجاتكم ولا يأمركم إلا بما فيه سعادتكم وكمالكم، وقبل أن تصل وفودكم إلى سماحة العالم الرباني لاستفتائه والأخذ برأيه فإني أنصح لكم أن تتوبوا إلى ربكم من تكفير إخوانكم، وتعملوا على إصلاح نفوسكم بالعلم والعمل ومجاهدة النفس في ذلك، فإذا تم لكم ذلك فاجتهدوا في دعوة إخوانكم إلى الاستقامة على منهج الحق الذي هو سبيل المؤمنين، وصراط الله المستقيم لتكملوا جميعًا وتسعدوا في الدارين، وذلك ما نسأل الله تحقيقه لنا ولكم ولسائر المسلمين.

■ *وختاماً:*

اعتذر لكم أيها الأبناء إن كنت قد آلمتكم ببيان الحق وأنا أعلم أن ما حملكم على هذا السلوك إلا ما عاناه بعضكم وعاناه إخوانكم من قبل في ظلمات سجون القومية العربية، وبعدها سجون الاشتراكية حيث قلع الأسنان وخلع الأظافر وقصم الظهور وهشم العظام وإشلاء الكلاب ونكاح الأدبار وسب الرب والسخرية منه ومن دينه وبشرعه وأوليائه، والاستهزاء بالقيم الإسلامية والإنسانية معًا كل ذلك تلقاه من لا ذنب له إلا المطالبة باللسان برفع الظلم وتغيير المنكر بإقامة دين الله وتحكيم شرعه في عباده ليكملوا ويسعدوا في الحياتين.

وإلى هنا فلا يسعني أنا ومن يقرأ هذه الرسالة إلا أن نرفع أكف الضراعة إلى الله العلي القدير أن يخلص أمة الإسلام من محنتها وأن يرد إليها نورها وهدايتها لتنقذ نفسها والعالم الإنساني من ظلمات الشرك والكفر والجور والظلم والخبث والشر والفساد.

■ *وكلمة أخيرة:*

وهي أن سقوط الشيوعية اليوم سيترتب عليه قوة الرأسمالية الصليبية وهيمنتها على العالم الإنساني، وإذا تم ذلك لها فإن الإسلام سيكون الهدف الأول لها لإطفاء نوره وإذلال أهله نظرًا لضعف المسلمين روحيًا وماديًا، فإنهم سيتهاوون بسرعة ويذوبون في خضم المادة وضلال الصليبية والعياذ بالله تعالى إذ لا عاصم لهم من ذلك إلا الإسلام وقد فروا منه وهربوا من ساحته فالله الله أيها المسلمون!!

هذا وإن أراد الله تعالى نجاتكم فإنكم توفقون لاتخاذ الخطوات التالية:

١ - تقوم منظمة المؤتمر الإسلامي بما يلي:

وهو تكوين مجلس علمي يشارك فيه كل قطر إسلامي بعالمين من أصلح علمائه ويتم ذلك باستشارة الحكومات الإسلامية وموافقتها.

٢ ـ إسناد وضع دستور إسلامي مقتبس من الكتاب والسنة وفقه أهل السنة والجماعة إلى مجلس العلماء الآنف الذكر.

٣ ـ الشروع الفوري في تطبيق مواده بكل حزم وعزم وتحمل أعباء ما قد ينتج من تغيير قد تأباه النفوس الضعيفة.

٤ ـ اعتبار الدولة التي ترفض هذا الدستور دولة معادية للإسلام والمسلمين تجب مقاطعتها ومعاداتها وتحرم موالاتها حتى تتوب وتتقبل الدستور الإسلامي وتطبيقه مادة بلا استثناء لمادة من مواده ولا اعتذار عن مادة أخرى.

هذا والله أسأل أن يوفق منظمة العالم الإسلامي للنهوض بهذا الواجب إنها أهل له.

وصلى الله وسلم على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

الفهرس